

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

قسم الفلسفة

م.م. حوراء عبد علي مؤنس

## علاقة التطور البيولوجي بعلم النفس

ان علم النفس يدرس شخصية الانسان من اجل البحث في العوامل التي تكون مسؤولة في تأثيرها على السلوك البشري في سيكولوجية الشخصية، فنجد ان التحليل النفسي ما هو الا نتيجة تكوين للغرائز وصراعات في هياكل الشخصية.

من الواضح ان الناس هم الذين يصنعون التاريخ، وان كل تصرفاتهم تمر عبر وعيهم فالوعي هو صاحب الدور الحاسم في التاريخ. ويعد تضخم العامل الفردي والجماعي لمثل الانسان الفكرية، أي تضخيم دور الافكار نفسها في مسار التاريخ، وان للأفكار والبناء الفوقي اثره في عملية التغير الاجتماعي والتاريخي.

## المنهج العلمي التجريبي

من الاعلام البارزين في علم النفس هو عالم النفس سيغموند فرويد والذي استخدم المنهج العلمي التجريبي في ابحاثه على النفس الانسانية. ذلك لأجل دراسة الجانب الشخصي في الانسان، وهو بذلك يكون قد لجأ الى التحليل النفسي بعد ان غدت بحوث العلماء متركزة على الجانب العضوي. كما ويدعو فرويد في التحليل النفسي الى اقامة روابط انسانية متينة مع المريض وكسب ثقته، لكي تزول الحواجز بين الطبيب والمريض بهدف تشجيع المريض ليسترجع الذكريات المدفونة في الجانب العميق والخفي في النفس، حتى وان كانت فيها معارضه مع عاداته وتقاليده ويكون الهدف هو لأجل تحقيق التوازن في نفس المريض ومتطلباته.

واسترجاع الذكريات يعود الى ان الماضي قابل لان ينعكس في النفس وانه ليس معرضاً بالحتم والضرورة للدمار . فبقاء الماضي هو القاعدة بالنسبة الى الحياة النفسية.

وليتمكن من التصريح بكل الرغبات التي يسعى الى تحقيقها مهما تعارضت مع القيم الاجتماعية . لا يقف المحلل النفسي على ظاهرة الحديث او الحياة لان الامر يحتاج الى تأويلات وفهم الحياة النفسية يتطلب الا يقف على الجانب الظاهري منها ، لذا يجب اعتبار وجود جانب لا شعوري من الحياة النفسية يتم كبتة لعدم امكان تحقيقه على ارض الواقع ، ولان الرغبات والميول تتعارض مع متطلبات الحياة اليومية واعتباراتها الاخلاقية والاجتماعية.

هذا وقد اكد فرويد على الحتمية البيولوجية واهمال العوامل الثقافية والاجتماعية. واكد على الغريزة الجنسية ودورها في نمو الشخصية وفي الاصابة بالأمراض النفسية نتيجة التجارب الفاشلة او المكبوتة.

وان تصعيد الغرائز يعد واحد من ابرز سمات التطور الثقافي فهو الذي يسمح للنشاطات النفسية الرفيعة العلمية او الفنية او الايديولوجية بأن تلعب دور بالغ الاهمية في حياة الكائنات المتحضرة.

وقد صب فرويد جل اهتمامه على وظائف الشخصية العادية. كما وبحث في الاحلام لتفسيرها ولمعرفة اثرها على السلوك. كون ان الاحلام تفرغ لما يدور في داخل الانسان من رغبات ومكبوتات.

كما واستعمل طريقة للترابط الحر وتحليل الاحلام لمعالجة الامراض العصبية . ويفسر احلام المريض على انها دلالة على رغبات جنسية قديمة مكبوتة ، تبقى حبيسة النفس ويعجز المريض عن التعبير عنها فتتحول الى احلام بغرض جلب الراحة الى النفس.

وابرازه لدور الغريزة الجنسية، الى جانب اعتقاده في ان الانسان حيوان بشري قائم على الغرائز (تأثراً بآراء دارون)، هو بهذا يكون قد اعتمد على التعميم من خلال بعض الحالات التي فحصها، والنتائج التي توصل اليها، اضافة لكون الابحاث التي قام بها ، خاضعة لأشخاص مرضى وليسوا طبيعيين.

وحسب فرويد انه لا يمكن تحديد درجة ما من درجات النشاط الجنسي في الطفولة التي ينبغي ان تعد سوية وغير معيقة للنمو اللاحق. وان تظاهرات الجنسية الطفلية ترتدي طابعاً استثنائياً في المقام الاول. ويلاحظ في الاستناد الى التجربة والخبرة ان المؤثرات الخارجية ذات الصلة بالإغواء قد تتسبب في حدوث انقطاعات سابقة لأوانها في مرحلة الكمون، وقد تلغى هذه المرحلة برمتها، فتبتدى غريزة الطفل الجنسية عندئذ انحرافية متعددة الاشكال.

فالحياة الجنسية الطفلية تعاني من فجوات واسعة وهذا ما يؤدي الى تغيرات تطراً مع البلوغ ، ومن اهم هذه التغيرات هي، خضوع جميع الاثار الجنسية لزعامة المناطق التناسلية، وثانياً هي السيرورة التي بها يتم العثور على الموضوع، وان المعالم الاولى لهاتين الظاهرتين ترسم في الطفولة.

كما ويعتقد فرويد ان اصل الرغبات كلها هو غريزة واحدة وهي الغريزة الجنسية ، لكونها منبع لكل المكبوتات والغرائز والجوانب الغامضة في النفس ، فهذه الرغبات تدخل في صراع مع المثل والعادات والتقاليد والنظم الاخلاقية والتعاليم الاجتماعية.

حيث يقول: "لا بد ان يسلم بنا التحليل النفسي في كل مرة الى الخبرات والرغبات الجنسية للمريض، ولا بد ان يتأكد لنا ان هذا الغرض لا يعدو ان يكون ارضاء للرغبات الجنسية، فالأعراض تهدف الى الاشباع الجنسي وهو بديل عن هذا الاشباع حين لا يظفر به المريض في حياة الواقع".

وقد كان معروف قبل فرويد انه ينظر الى الانسان بوصفه عملية آلية لا يستطيع الانسان ضبطها . اما فرويد فكان يعتبر هذا التصور خاطئاً فقد قال ان الاشياء التي تسترجع بالذاكرة، والامور الي يمكن ان تنسى، تكون على صلة بقيمتها واهميتها.

وان الاشياء التي تكون مزعجة هي التي تكون عرضه للنسيان بشكل مؤقت عن طريق ابعادها عن الشعور، بالتالي هذا النوع من الكبت يهدف الى حماية النفس من ما هو يسبب الم لشيء مرفوض، وان فرويد يعد الكبت اساس في احتفاظ الانسان بصورة مقبولة عن ذاته.

وان حدوث النمو الجنسي يكون على دفتين متعاقبتين، أي وجود انقطاع متعين بمرحلة الكمون. وبالفعل ذلك واحد من الشروط التي تتيح للإنسان التقدم نحو مستوى ارقى من الحضارة، كما انه يقدم تفسير للاستعدادات للأعصية.

والمقصود من مصطلح الحضارة انه يشير الى جملة الصنائع وجميع النشاطات والقيم النافعة للإنسان لتطويع الارض خدمة له ووقاية من جبروت قوى الطبيعة. كذلك يعرف من الحضارة التنظيمات التي يبعدها تأسيسها عن حالة اسلافنا البهيمية والتي تقيد في غرضين : حماية الانسان، وتنظيم علاقات البشر فيما بينهم. ويفهم من تطور الحضارة اي ان هذا التطور هو سيرورة خاصة مشابهة للنضوج السوي لدى الفرد.

وتجدر الإشارة الى ان الابحاث حول اضطرابات الحياة الجنسية تكشف عن نقص المعارف بالسيرورات البيولوجية التي تكون لها بمثابة الاساس والجوهر ، أي انه لا يمكن صياغة معتمدة على معلومات متفرقة نظرية قادرة على تقديم تفسير كافٍ للأحوال السوية والمرضية للجنسية.

ويعارض فرويد الدين باسم الاخلاق. حيث يرى ان الدين ينبع من عجز الانسان في مواجهة قوى الطبيعة في الخارج، والقوة الغريزية داخل نفسه، حيث ينشأ في مرحلة مبكرة من التطور الانساني حين لا يستطيع ان يستخدم عقله في التصدي لهذه القوة الداخلية والخارجية. وقد رأى ان الدين خطر وان الارتباط بينه وبين الاخلاق لا يؤدي الا الى انهيار وانحطاط القيم الاخلاق لأنه في المرحلة المبكرة للحضارة سيطر على الفكر الانساني الميتافيزيقي، اذ كانت ترجع الظواهر كلها الى الاساطير والخرافات والالوهام.